الكبيرة الخمسون: **(أذية المسلمين وشتمهم).**

قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾[الأحزاب: ٥٨]^، وقال تعالى: ﴿وَلا تَجَسَّسُوا وَلا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا﴾[الحجرات: ١٢]^، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَومٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ﴾[الحجرات: ١١]^، الآية وقال تعالى: ﴿وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ﴾[الهمزة: ١]^.

(الشرح)

ثم ذكر هذه الكبيرة أذية المسلمين وشتمهم، و الأذية والشتم هو من الكبائر، ولا يختص نوع واحد الأذية باليد، والأذية باللسان، والأذية كيفما كانت وكذلك الشتم أنواع وأصناف، فهذا كله من الكبائر، ولهذا سنرى أن النصوص التي يسوقها المصنف هنا متنوعة في ذكر أنواع وأفراد من الأذى الذي هو داخل في عموم هذه الكبيرة، إيذاء المسلمين والمؤمنين بغير ما اكتسبوا التجسس، والغيبة، السخرية، والاستهزاء، الهمز واللمز هذه كلها يعني أفراد دخلة تحت الأذية والشتم.

(المتن)

وقال النبي ﷺ: «إن شر الناس منزلةً عند الله من ودعه الناس اتقاء فحشه».

(الشرح)

أي من شدة أذاه يتقيه الناس.

(المتن)

وقال ﷺ: «إن الله يبغض الفاحش البذيء»، وقال ﷺ: « عباد الله إن الله وضع الحرج إلا من اقترض عرض أخيه فذاك الذي حرج أو هلك».

(الشرح)

هـذا جـاء في الحج أيضًـا في خطـابة النبي ﷺ في الحج، و«اقترض عرض أخيه»، يعني تسلط على عرض أخيه، بالنيل منه، والوقيعة فيه، فمن كان كذلك فقد حرج وهلك.

(المتن)

وقال ﷺ: «كل المسلم على المسلم حرام، عرضه، ودمه، وماله، التقوى ها هنا، بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم»، أخرجه الترمذي وحسنه.

(الشرح)

في الحديث ذكر حرمة الدماء والأموال والأعراض ثم إشارة النبي ﷺ إلى الصدر، دليل على أن الصدر هو منبع الخير أو الشر وأن الإنسان ينبغي عليه أن يصلح قلبه وأن ينقيه، وفيما يتعلق بإخوانه يصلحه وينقيه من الغل، والحقد، والحسد، ويعمره بالخير، والمحبة، والرحمة، والشفقة، والمعاني الطيبة حتى تستقيم الجوارح تبعًا له.

(المتن)

وقال ﷺ: «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم»، أخرجه مسلم.

(الشرح)

هذه كلها تتنافي مع الإخوة، ظلم الأخ وخذلانه وقت حاجته إليه، واحتقاره، وازدرائه، فهذا كله يتنافى مع الأخوة الإسلامية.

(المتن)

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾[النور: ١٩]^، وقال النبي ﷺ: «سباب المسلم فسوق وقتاله كفر»، وقال ﷺ: «لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه»، واللفظ لمسلم.

(الشرح)

«لا يـأمن جاره بوائقه»، أي شره وأذاه، فالجار الذي لايأمن جره شره ولا يأمن أذاه هو واقع في هذه الكبيرة، وله هذا الوعيد: «لا يدخل الجنة».

(المتن)

وفي الصـــحيحين: «والله لا يؤمن والله لا يؤمن قيل: من يا رســـول الله؟ قال: الذي لا يـأمن جـاره بوائقـه، وفي لفظٍ على شرط الصـــحيحين: «لا يـدخل الجنة عبدٌ لا يأمن جاره بوائقه»، وقال ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذي جاره»، متفقٌ عليه.

(الشرح)

مثل ما سـبق هذا من مقتضـيات الإيمان بالله واليوم والآخر، وكثيرًا ما يأتي مثل هذا في النصوص، من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يفعل كذا، أو فليفعل كذا، لأن هذه الأعمال الصالحة والبعد عن الأعمال السيئة هو من مقتضيات الإيمان بالله واليوم الآخر.

(المتن)

وفي لفظٍ لمسلم: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحسن إلا جاره».

روى الأعمش عن أبي يحيا مولي جعد قال: سـمعت أبا هريرة ﷺ يقول: قيل يا رسول الله إن فلانة تصـلى الليل وتصوم النهار، في لسانها شيء تؤذي جيرانها سلطة، فقال: «لا خير فيها هي في النار»، صححه الحاكم.

(الشرح)

وهذا والعياذ بالله فيه خطورة الأمر على المرأة وكذلك الرجل الذي هو سـلط أو سلطة على الجيران بالكلام والوقيعة والسلب والسب، والغيبة والنميمة والسخرية، حتى لو كانت من تفعل هذا، أو من يفعل هذا يصـلي ويصـــوم، فمثل ما قال: «لا خير فيها هي في النار»، يعني مصلية، وصائمة، محافظة على العبادات لكنها سلطة يعني لسانها سليط، تقع في جاراتها وفي النســاء، وتغتاب، وتقع في الهمز، فذكر للنبي ﷺ من حالها وصــلاتها قال: «لا خير فيها هي في النـار»، لأنهـا تؤذي جيرانهـا أي بلســانها، فهذا يدل على خطورة هذا الأمر وأنه من الكبائر.

(المتن)

وقال ﷺ: «اذكروا محاسن موتاكم، وكفوا عن مساوئهم»، حسنه الحاكم.

(الشرح)

ذكر الناس بالخير وعدم الوقيعة فيهم بالسب ونحوه يشمل الأحياء والأموات، ولهذا قال ﷺ: «اذكروا محاسن موتاكم، وكفوا عن مساوئهم».

(المتن)

وعن أبي ذر ﵁ أنه سمع النبي ﷺ يقول: «من دعا رجلاً بالكفر أو قال: عدو الله وليس كذلك إلا رجع عليه»، متفقٌ عليه.

وهذا من الأذى بل هو من أشده أن يرميه بالكفر، أو يقول عنه: عدو الله، أو يا عدو الله أو نحو ذلك هذا من أشد الأذى.

(المتن)

روى صفوان ابن عمرو عن راشد بن سعدٍ عن أنس ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «لما عرج بي مررت بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم، فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون في أعراضهم».

(الشرح)

هذه حديث طويل سبق أن مر معنا سبقت الإشارة إليه وهو في صحيح البخاري ومسلم، واقتصر المصنف على الشاهد، أُناس رآهم النبي ﷺ لهم أظفار من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم، أي بأظفارهم: «فقلت: من هؤلاء؟ قال: الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون في أعراضهم»، وهذا يدل على خطورة هذا الأمر.

(المتن)

وقال النبي ﷺ: «إن من أكبر الكبائر شتم الرجل والديه، قالوا يا رسول الله: هل يشتم الرجل والديه؟ قال: نعم، يسب أبا الرجل فيسب أباه ويسب أمه فيسب أمه»، متفقٌ عليه.

(الشرح)

سب الرجل لوالديه سواء كان تشببًا أو ابتداءً كبيرة، تسببًا كما فيه هذا الحديث، «أن سب الرجل أبا الرجل فيسب أباه ويسب أمه»، فهذا من الكبائر، أو أن يسب والديه ابتداءً بأن يتوجه إليهم مباشرة والعياذ بالله باللعن والسب، فهذا من كبائر الذنوب كلٌ منهما من كبائر الذنوب، سواء سب أبويه ابتداءً وهو أشنع أو سب والديه تسببًا، بأن يسب أبا غيره فيرجع السب على أبيه، فهذا من الكبائر، والصحابة رضي الله عنهم قد قام في نفوسهم صناعة هذا الأمر وفظاعته، قالوا: وهل سب الرجل والديه؟ ما يتصور فقال: «يسب الرجل أبا الرجل، فيسب أبها ويسب أمه»، يعني يرجع السب إلى نفسه، ومع شناعة هذا الأمر وإدراك الرعيل الأول شناعته، بلغ ببعض الناس والعياذ بالله أن سب والد ابنه، يعني سب نفسه إذا غضب من ابنه قال: الله يشتم والديك، بعضهم وصل به الموصل إلى هذا الأمر، يعني إذا غضب من ابنه يشتم نفسه يقول لولده: الله يشتم والديك.

وهذه كلها والعياذ بالله من الحماقات والسفه وقلة الدين.

(المتن)

وفي لفظٍ إن من أكبر الكبائر أن يلعن الرجل والديه، قيل يا رسول الله: وكيف يلعن الرجل والديه؟ قال: يسب أبا الرجل فيسب أباه ويسب أمه، فيسب أمه»، وقال ﷺ: «لا يرمي رجلٌ رجلاً بالفسق أو الكفر إلا ارتد عليه إن لم يكن صاحبه كذلك»، رواه البخاري.

وقال ﷺ: «لا تسبوا الأموات فإنهم أفضوا إلى ما قدموا»، رواه البخاري.